غير عنيف فتتغلف كل حبة من حبوب البرغل بغلاف من الدقيق المبلول بالماء ويزيد هذا الغلاف ثخناً رويداً رويداً حتى تصير حبوب البرغل الدقيقة كرات كبيرة كحبوب الحمص . وعلى مثل هذا الاسلوب يتكون كثير من الحجارة الكروية او تتكون بمجرد الرسوب حول نقط مركزية من المواد الذائبة في الماء كما تتكون الحصى في المثانة

واذا جمد ظاهر هذه الكرات قبل باطنها ثم جمد باطنها تقلص وتشقق كما ترى في الشكل السادس وقد يرشح الى هذه الشقوق مواد رملية شفافة او ملونة فتتلئ بها حتى اذا قطعت تلك الكرات وصقلت كان لها منظر جميل جداً كأنها الياقوت المتحزة من ديل السلاحف

وسيأتي الكلام في الجزء التالي على الصخور غير المتضدة ثم على ما في الصخور كلها من آثار الحيوان والنبات

اشعار هوميروس

وترجمها العربية

لما مكننا القلم لنكتب الجزء الثالث من المجلد السادس عشر من المقتطف الذي صدر منذ ست سنوات خطر لنا موضوع الشعر والشعراء والبعد الشاسع بين اشعار المحدثين وبين ما يجب ان يكونهُ الشعر فكتبنا فيهِ فصلاً مسهباً يحق ان يكون تمهيداً لما نحن بصددهِ الآن ولذلك رأينا ان نعيد بعض فقراتهِ . قلنا :

" قال ابو نصر المقدسي الشعر ديوان العرب ومعدن حكمتها وكنز ادبها . وقيل الشعر يطاير تطاير الشرر والشعر يبقى بقاء النقش في الحجر . وقال دعبل كان امرؤ القيس من ابناء الملوك وكان من اهل بيتهِ وبني ابيهِ اكثر من ثلاثين ملكاً فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكرهُ الى يوم القيامة وانما اسمك ذكرهُ شعرهُ

وقال باكون الفيلسوف الانكليزي " حسبك شاهداً على خلود شعر الشعراء العظام انهُ مرَّ على اشعار هوميروس الثنان وخمس مئة عام ولم يفقد منها كلمة ولا حرف ولكن كم من قصر وهيكل وقلعة ومدينة اخفى عليها الدهر في هذا الزمان الطويل وجعلها اثراً بعد عين . ولقد يتعذَّر علينا حفظ صورة فورش وقيصر وغيرهما من الملوك والعظماء ولكن الصور التي يصوِّرها الذكاء والرسوم التي ترسمها القرائح ترسخ في بطون الاوراق آمنة من نكبات الدهر وكرور

الايام . وما هي بصور صماء ولا في رسوم صامتة ان هي الاَّ اشباح حية تنمو في العقول وتثمر فيها ويتوالى نموها وجناها على توالي الاعقاب . فاذا استُعظم استنباط السفن لانها تنقل البضائع والتحف بين البلدان الشاسعة فاختراع الكتابة اعظم واجل لانها تنقل الحكمة والذكاء في بحار الادهار" . وقال ابن الرشيق واجاد

انما الشعر ما تناسب في النظ ... م وان كان في الصفات فنونا
كل معنًى اتاك منهُ على ما ... تشتهي لو لم يكن ان يكونا
فتناهى من البيان الى ان ... كاد حسًّا يبين للناظرينا
فكأنَّ الالفاظ منهُ وجوهٌ ... والمعاني ركبن فيهِ عيونا

وقال شكسبير الشاعر الانكليزي ما ترجمتهُ

قُسم الشعر على الانام واغدًا ... جُبلت بهِ العشاق والشعراء
كم شاعر رمق الفضاء بطرفهِ ... فبدا لهُ منهُ سنًى وسناء
وأراك من صور الخيال حقائقًا ... تعطى لها الاوصاف والاسماء

وللشعر مقام في النفوس وسحر في العقول ولقد اعترف لهُ الجميع بهذه المزية في مشارق الارض ومغاربها وفي قديم الايام وحديثها . ذكر فلوطرخس ان هالي صقلية استعجبوا كل من يعرف اشعار يوريبدس من الاثينيين بعد ان تغلبوا عليهم امام سرقوسة واستباحوهم قتلاً . وكان اهالي صقلية يفضلون يوريبدس على كل شعراء اليونان ويتعلمون كل بيت يستعونهُ من اشعارهِ من افواهِ الغرباء الذين يدخلون بلادهم فعاد الذين نجوا باستظهارهم اشعارهُ إلى اثينا وشكروهُ على حسن صنيعهِ بهم

وذكر ابن خلكان انهُ لما قدم نصر بن منبج بين يدي المأمون وكان قد امرَ بضرب عنقهِ قال يا امير المؤمنين اسمع مني كلمات اقولها قال قُلْ فانشأ يقول

زعموا بان الصقرَ صادفَ مرةً ... عصفور بر سائقهُ التقديرُ
فتكلم العصفور تحت جناحهِ ... والصقر منقضٌّ عليهِ يطيرُ
اني لمثلك ما اتيتم لقمةً ... ولئن شويتُ فانني لحقيرُ
فتهاون الصقرُ المدلُّ بصيدهِ ... كرمًا وانلتَ ذلك العصفورُ

فعفا المأمون عنهُ

ونحن في هذا العصر لا نأمل ان احدًا ينجو من القتل بشعر غيرهِ ولا بشعرهِ ولكنَّ الشعر قد ينجينا مما يقرب من القتل ألا وهو الهموم والغموم والاكدار التي تكدر الحياة

والاتعاب ألّتي تنهك القوى . قال السر جون لبك "كم من مرة تهكنا الاتعاب وثقلتنا الهموم فنأخذ اشعار هوميروس او هوراس او شكسبير او ملتون ولا نكاد نقرأ صفحة منها حتى تنقشع من امامنا غيوم الهموم وتحلّ عقد الاعصاب وتنعش منا النفوس وتتجدد فينا القوى وتعود الينا بهجة الحياة ولذتها" . وقال عمر بن الخطاب الشعر جزل من كلام العرب يكنّ به الشيخ وتلتذّ به الناشئة ويبلغ له القوم في ناديهم . وقال كلردج الكاتب الانكليزي الشعر سكّن خاطري وضاعف مسراتي وحبّب اليّ العزلة ورغبني في اكتشاف كل منقبة وجمال في ما حولي

وقد يظن من يقصر اطلاعهُ على ما وضعهُ ادباء العرب في وصف الشعر والشعراء ان الشعراء من العرب والشعر فيهم خاصة وان اشعار الاعاجم التي يعثر عليها المبتدئ في تعلم اللغات الاعجمية هي من نخبة ما نظمهُ شعراؤهم . ويظن من يقصر اطلاعهُ على ما وضعهُ بعض ادباء الاعاجم ان الشعر خاصٌّ بهم وان لا شعر في العربية لان اشعار المحدثين منهم والمولدين قلما تعدُّ من الشعر في شيء . وسيء الظنين خطاء فاحش لان اشعار الاعاجم من الهنود والفرس والمصريين واليونانيين والرومانيين والايطاليين والانكليز والفرنسويين والالمانيين آخذة باطراف البلاغة جامعة لمبتكرات المعاني تصف الارض وما عليها والسماء وما فيها والنفس وجوانحها والعقل ونواحيهُ والطباع والغرائز والاخلاق والعوائد وصفاً يريك الموصوف في شكلهِ الطبيعي وقد فاض عليهِ نور السماء او اكتنفتهُ ظلمة الليل البهيم او تجلّى بحلى البهاء او نسجت عليهِ عناكب النسيان . ولم يزل فحول شعرائهم متّبعين هذه الخطة متبارين في هذا المضمار يجارون العلماء والحكماء لا يتركون حقيقة من حقائق العلم ولا ناموساً من نواميس الكون ولا خلقاً من اخلاق البشر ولا غريزة من غرائز الحيوان ولا مكتشفاً من مكتشفات العلم الاّ نمنموهُ اشعارهم واضاءوا عليهِ من نور قرائحهم"

ثم ذكرنا جانباً من دالية النابغة الذبياني ألّتي مطلعها "يادار مية بالعلياء فالسند" وجانباً من قصيدة الشنفرى المعروفة بلاميّة العرب وشرحناها شرحاً موجزاً وقابلنا بين شعر المتقدمين والمحدثين وقلنا في الختام

"هذا وقد استشارنا بعض النابغين من شعراء عصرنا في طريقة لفك الشعر العربي من ربقة القيود ألّتي تقيد بها فاشرنا عليهم بترجمة اشعار هوميروس وملتون وغيرهما من فحول الشعراء فعملوا بمشورتنا فاذا اتيح لهم ان ينظموا هذه الاشعار ولا يضيعوا شيئاً من بلاغتها رأى فيها ادباؤنا ما ينير رأيهم في الشعر والشعراء فيغادرون الطريقة ألّتي اتّبعوها حتى الآن ويتبعون

طريقة الاوربيين وفي الطريقة التي جرى عليها شعراء الجاهلية على قلة بضاعتهم وندرة معارفهم وشعراء الامم القديمة كالمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان وبدونها لا يعدّ الشعر شعرًا " . انتهى ما ذكرناهُ منذ ست سنوات

وانّا نبشر الآن ابناء العربيّة والراغبين في الشعر العربي ونزع التقليد منهُ واعادة الابتكار اليهِ ان الصديق الفاضل والشاعر المطبوع سليمان افندي البستاني الذي اقترحنا عليهِ ان يترجم اشعار هوميروس قد قام بهذا العمل الجليل على ما يرام بعد ان اشتغل فيهِ ثمانية اعوام فافرغ نحو احد عشر الف بيت من اشعار هوميروس في قالب عربي نظمها نظم الدر وسبكها سبك النضار . ونحن موردون مثالاً منها الآن للدلالة على ما امتاز بهِ الشاعر اليوناني من حدة التصوّر وقوة الاختراع ودقة الوصف على انهُ كان ضريرًا لا يبصر وعلى ما بلغهُ الناظم العربي من حسن السبك ورقة اللفظ وانسجام العبارة . والمثال في وصف الترس الذي صنعهُ هيفست الله النار والحدادة لأخيل بطل اليونان وما عليهِ من الصور والنقوش البديعة التي لعجز امهر المصورين عن الاتيان باجمل منها كما ترى من الابيات التالية ومقابلتها بالصورة التي صنعها المصوّر مسترشدًا بالوصف الشعري

وكانت ثيتس ام اخيل وهي من الهات الماء قد قصدت الاله هيفست تطلب منهُ ان يصنع عدة حرب لابنها تقيهِ شرّ الاعداء وكان لها عليهِ فضل فلما رأتها خاريس زوجتهُ صافحتها ورحّبت بها

واجلستها طافقة الايناس عرشًا بديعًا محكم التياس
قنيرةٌ من اللجين القامي ذا موطئ لارجل الجلاس
وزوجها نادت بصوت الجهر
"هيفستُ قُم ثيتس عونك ابتغت" فقال "ايهٍ بالهةٍ سمت"
تلك التي الكربة عني فرّجت لمّا من الدماء بي امي رمت
تكتمُ عاهتي بشر الكبر"

ثم وصف هيفست احسانها اليهِ وسألها عن غرضها فقصّت عليهِ خبر ابنها وطلبت منهُ ان يصنع لهُ عدّة حرب كاملة يتقي بها المخاطر فسكّن روعها

ثم مضى يدير نحو الكور مناخًا دارت بلا مدير
فأجمت بمثل لمح النور عشرين جاحمًا لظى السعير
تفرغ ما يحتاجهُ بالقدر

تهبُّ طوراً هبة الانواء وتارة تنفخ بالابطاء
ثم ربي بالعجيج الوضّاء للنار فوق القضة الغراء
فوق فلزّ وصلد الصفر

واذ دحا سندانهُ المهولا في يد مطرقهُ الثقيلا
وفي يد ملقاطهُ الطويلا اخلى وقام شاغلاً مشغولا
يشرع بالجنّ بدء الامر

وهنا اخذ الشاعر يصف الترس وهو الوصف الذي نطلب من شعرائنا ان ينظموا نظرهم فيهِ

ترس عظيم شائق الاوصاف وطرقهُ البهيُّ فوق الجاف
يكنفهُ مثلّث الاطراف على حمائل المجيد الصافي
يزهو على خمس صفاح الظهر

اودعهُ نقشاً بهِ تحارُ لحسنهِ الانظارُ والافكارُ
تالارض والسماء والبحارُ منهنَّ لاحت فوقهُ الآثارُ
وباطع الشمس وتمُّ البدر

وصاغ فيهِ جملة الدواري مثل الثريّا الجمّة الانوارِ
والدبّران ولقا الجبّارِ دبّ (دعوا مركبهُ) دوّارِ
من دونها لا يرتوي بالبحرِ

وبلدتين غنتا بالناسِ احداهما بالبشر والايناسِ
زُفَّ بها الزوجان بالاعراسِ بين غناء وسنا مقباسِ
ورقص فتيانٍ لهنَّ وصفرِ

ونغمةُ الرباب والشبابِ تصدحُ والناء بالاعجابِ
وقفنَ للرقة بالإعجابِ وغير هذا الحشد بانتصابِ
حشد بثورام عسير الحصرِ

هنالك اثنان استطالا جدلا لديهِ حقّ قتيل قتلا
هذا ادعى ايفاءها مكمّلا يعلن ذاك الامر مابين الملا
وذاك منكرٌ اشدّ النكرِ

كلاهما يطلب حكم القاضي والناس بين ساخط وراضي
ضجوا لايّ ساعة التقاضي أحسنَ والنيويج باعتراضِ

تأمر بالصمت لهم الامرُ
حنالك الشيوخ من ضمن حرَم على مقاعدٍ من الصخر الاصم
قاموا بايديهم على سرأى الامم صوالجُ الفيوج بدون الحكم
قاضين عن رَوِيّةٍ وخبرِ

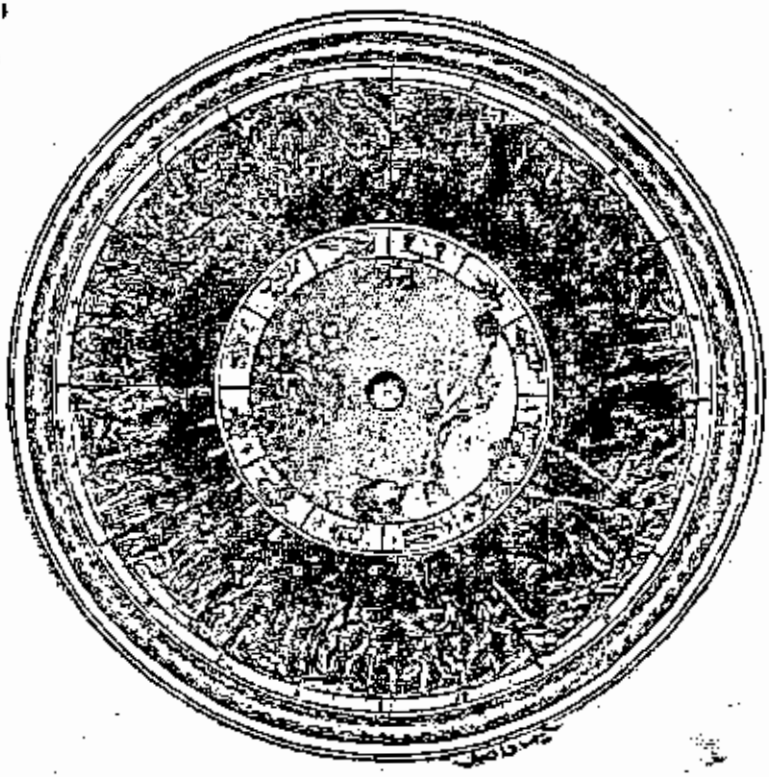

فردًا فردًا أدّوا الاحكاما امام حائك السرى قياما
وشاقلان ذهبًا تماما بينهم قد أودعا اكراما
لمن محا بالعدل شر الوزر
والبلدةُ الاخرى هفَسْتُ رسما جيشين عدوةً عليها هجما
جيش اشد آلى بان تهدّما وذاك نصف المال يبغي مغنما
واهلها تحصنوا بالسرّ

كينهم ينهمُ اعـدُّوا وفوق سورهم اقام الولدُ
والاهل والشيوخ ثم امتدوا امامهم رب الكفاح الصلدُ
كذا اتينا ملجأ المضطرّ

كلاهما من ذهب وضاحِ بالجسم والملبس والسلاحِ
تراهما العين على البراحِ اعظم قدًّا من سرى الكفاحِ
ما بين آل الخلد شينُ الصغرِ

فبلغوا جدّة نهر جارِ مورد غرّ الشاء والشارِ
فوقفوا بالرمح والبتّارِ وارصدوا عينين للمرارِ
ليرقبا عند ورود الدهرِ

فاقبلت امام راعيينِ بنغمة المزمار لاهيينِ
عن ذلك الكمين غافلينِ فوثبوا وقتلوا القرينِ
وضمروا السوام شرّ النحرِ

فارتفعت عجاجة الضوضاء فبلغت مسامع الاعداء
فاقبلوا بثائرة شعواء واشتبكوا وانهال في اللقاء
غيث من النصال فوق النحرِ

بينهم الفتنة والفوضاء كذا مبيد الامم القضاء
يعلو على كاهله رداء سيل من اطرافه الدماء
يفرّ عن هذا وذاك يفري

وآخرًا امسك بالاقدامِ يزيح عن مواقف الصدامِ
تلك رسومٌ بذكا الرسامِ تُرى على المجن كالاجسامِ
تسحب موتاها وبريًا تبري

ودون هذا الرسم رسم حتلِ خصب إلاثًا حرثوا بالفعلِ
رجالهُ تامت بعبء الشغلِ قد عمّروا الحقل بطرف عدلِ
يرتشفون من لذيذ الخمرِ

في منتهى الارض انبرى غلامِ اذا انقضى ثلثهم التمامُ
ناولهم كأسًا وهم قيامُ فانقلبوا ونيرهم اقاموا
بكل وجيهٍ جلء الصورِ

والارضُ سوداء تلوح للنظر وان تكن من ذهبٍ تلك الصور
كانما الفلاح بالحال عبر نعم فذي معجزة ممن قدر
ان يخضع العسر لامر اليسر

وقربهُ يانع زرع بادي دارت به مناجل الحصادِ
ومن وراها زمرة الاولاد تجمع ما يُلقى على التمادي
وخلفهم ثلثة تستقري

تضم ما القوا لهم ضمن حزم وثَمَّ رب الارض مابين الحشم
قد قام صامتاً يرى تلك النعم معتمداً على عصاهُ نابتسم
ينظر بالبشر لوفر الذُّخرِ

وتحت سنديانةٍ قام النَدَل يهيئون الزاد في ذاك المحل
قد ذبحوا ثوراً ليبدو الكل اشغل وعاونتهم النساء بالعمل
على لحومٍ الدقيق تذري

كذاك كرم بدوالي ذهبِ قامت فمالت تحت ثقل العنبِ
مُمْسَكةٌ من فضة لم تُشَبِ قد سُطرت دون وشيع اشهبِ
يكنفها وخندق مُعْبِرِ

ليس لهُ الاَّ طريق رُسما يعبرهُ الكرّام ايام النما
والمُرْد تُبدي والعذارى الهما تجني وبالسلال تلقي كل ما
جنتهُ من قطفٍ ذكا تحمّرِ

بينهم فتىً بعود قاما مرددًا بنقرهِ الانغاما
نشيد ليْنوُسَ الذي تسامى فرددوا النشيد والاقداما
بالارض دقوا وفق ذاك النقرِ

ودون ذا سربٌ من الثيارِ من الفهودِ ومن النضارِ
مندفعٌ يزأر للبواريه يُرى لدى نهرٍ على تجاري
تحُاطهُ بالقصبِ المخضرِ

رعاتهُ اربعةٌ من عسجدِ وتسعةٌ كلابهُ للرصدِ
وثَمَّ لبّانٍ مريعا المشهدِ قد فرّسا ثورًا فكرّت تعتدي
رعاتهُ وغصتهُ في الاثرِ

قد مزّقاهُ مغنمًا بينهما وازدردا الاحشاء وابتصا الدما
فأوعز الرعاةُ من خلفهما كلابهم فهالها بطشهما
هزّت وهدّها شديد الذُعر

ودون ذا في منجعٍ خضراءِ صرائف محكمة البناء
لدى حظائر تسر الرائي بين مراتع لفرز الشاء
كذا غياض فوق روض نضر

وقرب هذا رسم مغنى طرب كأنهُ نادٍ بديع العجب
ألّف في أكنونس يذال الابي لحظ أزيانا بمرمى الطنب
من فتية ومن عذارى زهر

ردامُ المنسوج كالزيت برق ويرتع الحسان بالحسن نطق
وحليهم سيف من النير الطلق على نجاد فضة حيكت دق
وحليهنّ ذاك تاج زهر

تعاضدوا بالكف والابهام فرقصوا بالعلم والالمام
كأنهم بخفة الاقدام محال خزاف رماها الراني
ثم جروا سطرٌ وراء سطر

حولهمُ حشدٌ وفي وسطهم قام مغنٍّ بشجي النغم
ان نقر العود فمن بينهم قرمان دارا يخفف القدم
رقصًا يردّدان لحن الشعر

وعند ما أتم هاتيك البدع مجاري المحيط في الحافر وضع
فاكل المجنّ من ثم ابتدع درعًا متانها كستا الشمس سطع
ما صلحت الا لذاك الصدر

وغوذة بقونس جميل من عسجدٍ وحمل ثقيل
لاقت لذاك البطل الخليل ومن غماس لين مصقول
طرّق خنين تمام البزّ

واذ أتمّ كل تلك الغرر القى بها لام آخيل الدري
من لدن رب الجلة الكبير فانحدرت من الاثير الازهر
واندفعت بها الدفاع الصقر

وقد علمنا من ناظم هذه الابيات انهُ علق عليها شرحاً مسهباً بعد ان درس اللغة اليونانية الاصلية وطالع كل الشروح التي وضعها علماء الافرنج على اشعار هوميروس وقرأ مئات من الدواوين العربية والافرنجية ليرى المعاني التي ذكرها هوميروس ووردت في اشعار غيره من الشعراء. وسيطبع هذا الديوان الكبير مع ما علقهُ عليهِ من الشروح وضع لهُ من الصور الكثيرة ويتحف بهِ اللغة العربية وابناءها تنزول عنا وصمة عار لحقتنا منذ الف عام وهي ان العرب مع اعتنائهم بفلسفة اليونان وعلومهم واهتمامهم بالشعر والشعراء لم يقدموا على ترجمة اشعار هوميروس اما لانهم لم يفهموا معانيها او لانهم لم يقدروها قدرها.

الاشباه والنظائر

كتبنا في الجزء الخامس من المجلد التاسع عشر من المقتطف مقالة في هذا الموضوع وعدنا فيها ان نعود اليهِ مرة اخرى. وقد طالبنا البعض بالوفاء مراراً فرأينا ان نلبي الطلب الآن

الانسان ابن العادة والعادات تحاكي الناس وتغير الطباع وقد يُظَنُّ لاول وهلة انها خاصة بالانسان وليس الامر كذلك بل تشبههُ فيها الحيوانات والنباتات كما ترى من الامثلة التالية

كل من رأى فأرة يعلم انها من اسرع الحيوانات عدواً واشدها نفاراً تراها في جانب من البيت فلا يقع نظرك عليها حتى تصل الى الجانب الآخر كأنها البرق يومض فيخطف الابصار. ولا نظن ان احداً حاول ان يمسك فارة فاستطاع مسكها بيده. وبالامس احدث سيدة اميركية فارتين من الفيران البيض الى ابنة صغيرة وهي تلعب بهما الآن امامنا فلا تهربان منها بل تقيمان في يدها وتدخلان في جيبها وغشيان بجانبها متثاقلتين كانهما من اشد الحيوانات انساً وابطأها حركة ولم نرَ هرة آنس منهما

والهرُّ الاهلي يُضرب بهِ المثل في الانس ولكنهُ والوحشي اخوان وهذا من اشرس الحيوانات واشدها نفاراً. واذا ربي جرو الهر الاهلي بعيداً عن الناس عاد وحشياً كالوحشي

اذهب الى معرض الحيوانات في حديقة الجيزة وانظر الى الببر (النمر المخطط) رابضاً والشرر يتطاير من عينيهِ وهو يفتر فاهُ ويزبدُ كلما ضرب الحارس الارض يدهِ وبجانبهِ ببران صغيران من نوعهِ والحارس يدخل اليهما ويلاعبهما كأنهما هرتين اليفتين. وقد